محاضرة

إن السعيد من جنب الفتن

لفضيلة الشيخ

عبد الرزّاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالىٰ

[شريط مفرّغ]

بسم الله الرحمـٰــن الرحيم

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد، فإنّ موضوع هٰذا اللقاء هو قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

((إنّ السَّعيد لَمَن جنّب الفتَن))

وهٰذا الحديث المبارك رواه مسلمٌ وأبو داود[1] وغيرهما عن المقداد بن الأسود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

هٰذه -أيها الإخوة- وقفةٌ مع هٰذا الحديث، نتأمّل في دلالته وننظر في معانيه ونقف مع مضامينه، رجاء أن ينفعنا الله -جل وعلا- به.

يقول فيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((**إنّ السَّعيد لَمَن جُنِّب الفتن**)).

وما من شكٍّ -أيها الإخوةُ- أن السعادةَ مَطْلَبُ كلِّ إنسان، وغايةٌ تُنشَدُ وهدفٌ يُطلَب، وكلٌّ يتمنى لنفسه السعادةَ ولا يريد لها الشقاء، ومِن شأن الفتنِ عندما تنزل بالناس وتَحلُّ هم تُربكُ سعادتَهم، وتُشتِّتُ أذهانَهم، وتُقلقُ قلوهم، ويلحقهم منها ما يلحقهم من العَنَت، فبيِّن - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- حال المؤمن ومنّة الله -عز وجل- عليه مع ما يكون في هٰذه من فتن وما يلقاه الناس فيها من ابتلاءات، والدنيا دار ابتلاء وامتحان ودار فتنةٍ واختبار، والمؤمن يلقى ما يلقى فيها؛ لكنه عظيمُ الصِّلة بربه -عز وجل-، دائمُ الانكسار بين يديه، والالتجاء إليه وحده - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- دون سواه، يؤمِّل منه وحده، ولا يرجو من أحد سواه.

ولهٰذا تأمَّل قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هٰذا الحديث: ((**إنّ السَّعيد لَمَن جُنِّب الفتن**))، ومعنى قوله: ((**جُنِّب الفتَن**)) أي جنَّبه الله إياها، وسلَّمه منها، ووقاه من شرِّها، فإنّ التوفيق بيده، والفضل فضله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وقال ((**إنّ السَّعيد لَمَن جُنِّب الفِتَن**)) أي جنَّبه الله الفتن، هنا لابدّ من استشعارِ عظيمِ افتقارنا إلى الله -جل وعلا- وشديد احتياجنا إليه في أن يسلِّمنا من الفتن وأن يقينا من شرِّها.

---

[1] **سنن أبي داوود**: كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، حديث رقم (٤٢٦٣). والحديث ليس في مسلم، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (٩٧٥)، وقال الألباني: وهٰذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وقد ثبت في الصحيح[1] أنّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال لأصحابه: ((**تعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**))، فقال الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- ونعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وهنا قوله في الحديث: ((**جُنِّبَ الفِتَن**)) فيه إشارةٌ إلى هٰذا المعنى العظيم؛ ألا وهو تجنيب العبد من الفتن وسلامته منها ووقايته من شرِّها منَّة الله عليه وفضله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وكم هو جميلٌ بالعبد المؤمن أن يكون دائماً وأبداً مُستَشعِراً هٰذا المعنى المبارك الذي دلَّ عليه هٰذا الحديث ((**جُنِّبَ الفِتَن**)) أي جنَّبه الله الفتن ووقاه من شرِّها.

ومما يتضمَّنه هٰذا الحديث من معاني أنّ المسلم لا ينبغي له أن يطلب الفتن، وأن يبرز نفسه لها، وأن يقحم نفسه فيها، وأن يورِّط نفسه في إشكالاتها وتبعاتها، وأن يذيق نفسه حرَّها وشررها ونارها؛ بل المطلوب منه أن يتجنَّبها، وأن يبتعد عنها، وأن يسعى في السلامة من شرورها، فتجنّب الفتن؛ هٰذا مقصد، لا التصدُّر وتوريط النفس فيها؛ بل الإنسان يتعوَّذ ويسأل الله العافية، والعافية لا يعدلها شيء، ومن أوتي العافية فقد أوتي الخير.

وقد جاء في أدعيةٍ كثيرةٍ عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سؤال الله -جل وعلا- العافية، فالإنسان يسأل الله العافية والسلامة ولا يعرِّض نفسه للفتن؛ بل يبتعد عنها وتكون هي في جانب وهو في جانب قدر مستطاعه، وهٰذا المستفاد من قوله: ((**جُنِّبَ الفِتَن**)).

وتجنُّب الفتن والبُعد منها مَطلَبٌ لابدّ منه، ولابدّ للمؤمن من أن يكون كذلك؛ أن يكون متجنِّبا الفتن، بعيداً عنها، حَذِراً من الوقوع فيها، قال:((**إن السَّعيد لَمَن جُنِّب الفِتَن**)).

معاشر الإخوة الكرام.. من يسمع هٰذا الحديث المبارك يدور في خلده سؤال عظيم: كيف ينال المسلم هٰذا الموعود العظيم والفضل الكريم المذكور في هٰذا الحديث عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ وكيف يظفر بهٰذه السعادة؟ وقد عرفنا أن السعادة مطلب، كيف يظفر بها؟ وكيف يكون من أهلها؟

أنت وأنت تسمع قول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((**إن السَّعيد لَمَن جُنِّب الفِتَن**)) لابد وأن يتحرّك في قلبك طمع في أن تكون من أهل هٰذه السعادة وممن ظفروا بها فكيف تنال هٰذه السعادة التي دل عليها وأرشد إليها النبي الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هٰذا الحديث المبارك؟ فكيف ينالها المرء المسلم لنفسه؟ وكيف أيضا يكون سبباً في وجود هٰذه السعادة بين أفراد أمته؟

---

(1) **مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار..، حديث رقم (٢٨٦٧).

ونحن نعلم – معاشر الإخوة – أنّ المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه منا يحب لنفسه**))،[1] ((**والدين النصيحة**))[2] كما ثبت ذلك في حديث تميم بن أوس الداري-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

والناصح لنفسه ولغيره من عباد الله لابدّ أن يكون ساعياً في تحصيل هٰذه السّعادة له ولغيره التي تنال بتحقيق هٰذا الحديث وبالتحقق من مطالبه ومقاصده العظام، فكيف تظفر أنت بهٰذه السعادة الموعود بها في هٰذا الحديث المبارك وكيف أيضا تكون سبباً لوجودها في أمتك، هٰذا السؤال عظيم يطرح نفسه —كما يقولون-، ونحن نستمع إلى هٰذا الحديث المبارك ((**إن السَّعيد لَمَن جُنِّب الفِتَن**)).

وفي هٰذه الوقفة – معاشر الإخوة الكرام – أنبِّه على نقاط عظيمة وضوابط مهمة وأسس مباركة كلُّها مستمدة من كتاب الله –جل وعلا– وسنه نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وبهٰذه الضوابط بإذن الرب —عز وجل– وتوفيقه ومنّه يظفر المرء بالسعادة ويكون من أهلها.

ولنقف مع هٰذه الضوابط واحداً واحداً، راجين الله –جل وعلا– أن يطرح لنا ولكم فيها والخير والبركة:

أما الضابط الأول لتجنب الفتن والسلامة منها فهو تحقيق تقوى الله –جل وعلا-، وأن يجاهد المسلم نفسه على أن يكون من المتقين، وأن يسلك بنفسه مسالك التّقوى، وأن يجاهد نفسه على تحقيقها والقيام بها.

وتأمّل في هٰذا المعنى قوله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ**﴾[الطلاق:٢-٣]، تأمَّل قوله: ﴿**يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾ أي من كل بلاء وفتنة وشرٍّ، والآية ظاهرة الدلالة على أنّ تحقيق التقوى سبيلُ النجاةِ من الفتن وتجنُّبها، ﴿**يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾ أي مَخرجاً من كلِّ بليَّة وفتنة وشرٍّ.

فإذا أردتَ أن تُجنَّب الفتن فعليك بتقوى الله —عز وجل-، اتقِ الله أينما كنت يجنبك الفتن ويقيك مِن شرِّها، لا تعتمد على حذقك وشطارتك ونباهتك؛ وإنما اعتمد على الله، وعليك بتقواه

([1]) **البخاري**: كتاب الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (١٣).

مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم (٤٥).

([2]) **مسلم**: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم (٥٥).

فإنّ مَن اتقى الله وقاه وأرشده إلى خير أمور دينه ودنياه، والأمور كلها أزمَّتها بيد الله، والتوفيق بيده، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فمن أَعظَم أُسُسِ اجتناب الفتن تحقيق التقوى.

ولّما حدثت الفتنةُ زمن التابعين أتى نفرٌ إلى طلقٍ بن حبيب -رحمه الله- وهو من علماء التابعين، وقالوا له: قد وقعتْ الفتنةُ فكيف نتَّقيها؟ قال: "اتقوها بالتقوى"، قالوا: أجمل لنا ذلك. أي بين لنا التقوى بياناً مُجمَلاً قال: "تقوى الله؛ أن تعملَ بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله".

وبهٰذا يُعلَم أنّ تقوى الله -جل وعلا- ليست كلمة يقولها المرء بلسانه أو دعوة يدعيها؛ وإنما تقوى الله -جل وعلا- أمرٌ مستكن في باطن المؤمن ظاهرةٌ على جوارحه، قلبه مستقيم على طاعة الله، مُذعِنٌ مُنقاد لأمر الله، وجوارحه مطاوعة، وقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاَةُ وَالسَّلَاَمُ-: ((**ألا إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب**))،[1] وقال - عَلَيْهِ الصَّلَاَةُ وَالسَّلَاَمُ-: ((**التقوى ههنا**))[2] ويشير إلى صدره ثلاث مرات.

فتقوى الله -جلا وعلا- إصلاحٌ للباطن يَصلُح به ظاهر الإنسان ويستقيم، وهي فعل للأوامر وترك للنواهي؛ كما قال طَلْق -رحمه الله-: أن تعمل بطاعة الله، ثم قال: وأن تترك معصية الله، فهي فعلٌ للأمر وتركٌ للنهي.

وعليه فالمسلم يكون في هٰذا شأنه دائماً في حياته كلها، وإذا عَظُمت الفتن عَظُم إقبالُه على الله -عز وجل- فعلا لأوامره وتركٌ لنواهيه، يُقبِل على الصلاة وعلى العبادة وعلى الصدقة وعلى الإحسان وعلى البر، وفي الوقت نفسه يُجانب المعاصي ويبتعد عنها ويحذر من الوقوع فيها.

وقد جاء في الحديث الصحيح أنّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: ((**ماذا أنزل هٰذه الليلة من الفتن من يوقظ صواحب الحجرات**)) يُصلِّين،[3] إذاً الفتن تحتاج إلى صلاة، إلى عبادة، إلى عملٍ بطاعة الله -جل وعلا-، إلى بُعدٍ عن المحرمات.

([1]) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢).
مسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩).
([2]) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم.. حديث رقم (٢٥٦٤).
([3]) البخاري: كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر، حديث رقم (٧٠٦٩).

وجاء في حديث آخر أنّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: ((**عبادةٌ في الهرْج كهجرةٌ إليّ**))،[١] وهٰذا يبيّن لنا أن المسلم يحتاج في أوقاته كلِّها وحياته جميعها أن يكون مقبلاً على عبادة الله وطاعته محافظاً على أوامره، مبتعداً عن نواهيه، فإذا كان شأنه مع الله -جل وعلا- حَفِظَه الله ووقاه، أليس قد قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اتجاهك، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيءٍ لن ينفعوك إلا بشيءٍ كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لن يضروك إلا بشيءٍ كتبه الله عليك، رُفِعتِ الأقلام وجَفَّت الصحف**)). [٢]

ثم إنّ العمل بالطاعة والبعد عن المعصية الذي هو التقوى؛ لابدّ فيه من العلم، ولهٰذا قال طلق فيهما: "على نور من الله"، تعمل بالطاعة على نور، وتترك المعصية على نور، وهٰذا يدلُّنا أنّ من يريد أن يتقي الله -جل وعلا- حقّاً فعليه بالعلم، فإنه الزاد العظيم للتقوى، وإلا فإن الأمر كما قال بعض السلف: "كيف يتقي من لا يدري ما يتقي"، الذي لا يدري ما الذي يُتقى، وما الذي يجتنب وما الذي يَحذَر منه، كيف تقع منه التقوى على وجهها الصحيح؟!، لهٰذا لابدّ من العلم بالمأمورات لتفعل، والعلم بالمنهيات لتترك وتجتنب، تَعرف الطاعة لتكون من أهلها، وتَعرف المعصية لتبتعد منها ومن شرِّها، ولهٰذا قال طلق-رحمه الله-: "على نورٍ من الله"، ثم تكون في فعلك للطاعة وتركك للمعصية راجياً للثواب خائفاً من العقاب، لأنك ستقف أمام الله -جل وعلا- يوماً يسألك فيه عما قدمت في هٰذه الحياة، ثم يجازي - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فأنتَ تكون راجياً لثواب الله وخائفاً من عقابه، كما قال الله -تعالى-: ﴿**أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)**﴾[الإسراء:٥٧].

فهٰذه تقوى الله -جل وعلا- التي مَن لزمها وكان من أهلها وتحقَّق بأوصافها جُنِّبَ الفتن -بإذن الله عز وجل-.

والضابط الثاني من الضوابط التي يكون بها تجنّب الفتن لزوم كتاب الله وسنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والاعتصام بهما والتمسك بهما والتعويل عليهما والرجوع إليهما والنهل من معينهما،

---

(١) **مسلم**: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، حديث رقم (٢٩٤٨).

(٢) **سنن الترمذي**: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب رقم (٥٩)، حديث رقم (٢٥١٦). قال الترمذي: هٰذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني: صحيح.

ويكون المسلم دائماً مرتبطاً بكتاب ربه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، متمسكاً بهدي وسنة نبيه الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والله يقول: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١)﴾[آل عمران:١٠١]، ويقول -جلا وعلا-: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]، فحبل الله -جل وعلا- هو دينه، وكتابه، وسنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلتجنّب الفتن لابدّ من الاعتصام بالكتاب والسنة.

قال الإمام مالك -رحمه الله- إمام دار الهجرة: "السنة سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومن تركها هلك وغرق".

وفي خِضمِّ الفتن المتلاطمة والأمواج العظيمة سبيل النجاة بركوب هٰذا المركب المبارك؛ سنه نبيه الكريم - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- اعتصاماً بكتاب الله وسنه نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وإليك في هٰذا المقام إرشادٌ نبويٌّ مبارك في حديث العرباض بن سارية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: وعَظَنا رسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- موعظة بليغة ذَرَفتْ منها العيون ووَجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظةُ مودِّع فأوصنا، قال: ((**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلَّ محدَثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار**)).(١)

وتأمَّل قوله في الحديث: ((**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً**)) وأنتَ عندما تسمع قوله - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: ((**فسيرى اختلافاً كثيراً**)) لابدّ وأن تتساءل عن المخرج عند وجود الاختلاف، وسبيل النجاة عند نزولها؟ فأرشدك - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- إلى المخرج دون أن تسأل فقال: ((**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلَّ محدَثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار**))، فأرشدك - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- إلى التمسك بكتاب الله وسنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) **سنن الترمذي:** كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح.

سنن أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧) .

سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢، ٤٣) .

قال الشيخ الألباني: صحيح.

وبهٰذا التمسك بالكتاب والسنة نجا السلف الأخيار والصحابة الأبرار من الشرور والفتن، وقد قال الإمام مالك —رحمه الله-: "لن يصلح آخر هٰذه الأمة إلا بما صلح به أوَّلها" بماذا صلح أوَّل الأمة؟ بماذا صلح الصحابة ومن اتّبعهم بإحسان؟ أبغير الكتاب والسنة؟ حاشا وكلا والله فصلاحهم باهتدائهم واقتدائهم بربهم وسنة نبيهم –صلوات الله وسلامه عليه–، فالكتاب والسنة عصمةٌ ونجاةٌ.

وإذاً – أيها الإخوة – لابدّ من إقبال صادق على كتاب الله –جل وعلا– وسنة نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– والاستضاءة بنور الكتاب والسنة ليسلم.

أمّا مَن يريد أن يمشي وسط الفتن المتلاطمة والمِحَن المحتدمة بدون القرآن والسنة فشأنه كمن يمشي في ظلامٍ دامسٍ وليلٍ مظلمٍ بدون ضياءٍ، أيسلَم له طريقُه؟ من كان شأنه كذلك أيسلَم له طريقُه؟ حاش والله فكتاب الله نور وسنة نبيه ضياء، وقد قال –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ–: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا**﴾[الشورى:٥٢]، فكتاب الله وسنه نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نورٌ وضياء، فلابدّ من إقبال على كتاب الله وسنه رسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ليمشي المرء المسلم في هٰذه الحياة مستضيئاً بنور الكتابِ والسنةِ، أرأيتم الرجلَ الذي يمشي في الليلةِ الظَّلماءِ وفي يده مصباحٌ وفي يده نورٌ يضيء بهٰذا النور الطريق كيف أنه يهتدي ويَسلَم من الزَّلَلِ والانحراف.

ولهٰذا أحدُ العلماء المتقدِّمين أراد أن يَضرِب مثلاً لعلماء السنّةِ وأئمةِ الخير قال: "مَثَلُ العلماء الناصحين في أُمَمِهم مَثَلُ الرجلِ أتى إلى قومٍ في طريقٍ مظلمٍ لا يدرون أين يذهبون ولا إلى أين يتوجّهون من ظلمةِ الطريق ووحشته، وكأنّ معه مصباحٌ فقال: تعالَوا معي فأضاء لهم الطريق، فمشَوا بهٰذا النور الذي أضاءه لهم بهٰذا المصباح، ومَثَلُ العالمِ الناصحِ الذي يُربِّي الناس ويُعلِّمهم على السنةِ وعلى هدي النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَثَلُ الرجلِ الذي أضاء لأولئك طريقهم يبصِّرهم ويعلِّمهم ويرشدهم ويدلّهم ويبيِّن لهم الجادةَ السويةَ والصراطَ المستقيمَ.

بل قال أحد العلماء المتقدِّمين: "لولا العلماء لأصبح الناس مثل البهائم لا يعرف ماذا يفعل ولا كيف يعبد الله ولا كيف يستقيم على طاعة الله ولا كيف يسير على الجادة السوية".

فالشاهد أنّ الرجوع إلى الكتاب والسنة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة هٰذا الباب مبارك لابدّ منه للمرء المسلم حتى يكون –بإذن الله عز وجل– على جادةٍ سويةٍ وعلى صراطٍ مستقيمٍ.

الضابط الثالث لزوم الجماعة والبعد عن الفرقة؛ لأنّ الجماعة كما قال –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: رحمةٌ والفُرْقَةُ عذابٌ، قال – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: ((**الجماعة رحمةٌ والفُرْقَةُ عذابٌ**))،[١] وقال – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: ((**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة**))،[٢] والأحاديث في الدعوة إلى لزوم الجماعة والبُعْدِ عن الفرقة كثيرةٌ جداً.

ولهٰذا لابدّ على المرء المسلم أن يروِّض نفسه على لزوم جماعة المسلمين وعدم التفرُّق، فإنّ الفُرْقَةَ شرٌّ، ولزوم جماعة المسلمين يترتَّب عليها مصالحُ عظيمةٌ وغاياتٌ كريمةٌ؛ لأنّ المسلمين إذا لَزِم كلٌّ واحد منهم الجماعة يكون بذلك القوة الرابطة، وقوة الكلمة، ووحدة الصَّف، والتئام الشمل، ويكون لهم الهيبة والمكانة، بينما إذا تفرَّقوا واختلفوا تشتتَ أمرُهم وتَسلَّط عليهم عدُّوهم وعَظُمتْ بينهم الشرور والفتن، لكن إذا كانوا يداً واحدةً قَوِيتْ شوكتُهم وعَظُمتْ مكانتُهم، ويد الله على الجماعة، والله —عز وجل– يمدُّ الجماعةَ بعونه وتوفيقِه ما داموا مجتمعين على الحقِّ والهدى وطاعة الله واتِّباع سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..

وقد جاء في بعض الدعوات المأثورة: ((**اللهم ألِّفْ بين قلوبنا، وأصلِح ذات بينِنا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور**)).

بل انظر إلى قوة الجماعة في الدعوات المأثورة كلها، تجد فيها الدعوة لعموم المسلمين، يدعو فيها المسلم فيها لنفسه ولغيره بالرحمة والهدى وبالسداد بالعافية وبالمعافاة، بل جاء في أحاديثٍ عديدةٍ الترغيبَ بالدعاء للمسلمين مع الدعاء للنفس؛ بل إنه يترتَّب على ذلك من الأجور العظيمة والفضل العميم ما لا يعلمه إلا الله.

ولو كان في الوقت سَعَةً لوقفنا على نماذج من الأحاديث في هٰذا الباب؛ كقوله – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: ((**مَن استغفر للمسلمين والمسلمات كان له بكلِّ واحدٍ منهم حسنة**))، أتدري كم حسنة تحصل إذا قلت في دعائك: ((**اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات**)) كلمةٌ لا تَبلُغ سطراً واحداً كم من الأجر تحصّل؟! عد من آدم إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرض ومَن عليها، كلُّ مسلمٍ لك به حسنة، ملايين الحسنات، وعندما تدعو لهم بالهداية وتدعو لهم

([١]) السنة لابن أبي عاصم، باب في ذكر مفارق الجماعة، حديث رقم (٨٩٥)، قال الشيخ الألباني: حسن. وأخرجه أيضا برقم (٩٣)، فانظر تخريج الألباني تحت هٰذا الرقم. وهو عند أحمد في المسند.

([٢]) **سنن الترمذي**: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم (٢١٦٥). قال الألباني: صحيح.

بالسداد وتدعو لهم بالعون والتوفيق والسلامة من الفتن، وهٰذه الدعوات إذا نبعتْ من قلبك دلَّت على سلامة قلبك وباطنك وسريرتك تجاه إخوانك المؤمنين، فأنت ترحمهم وتشفق عليهم وتنصح لهم وتحب اجتماعهم وتحب بقاء وحدتهم وحدة صفهم على الحقِّ والهدى، ويذهب عنك ما يكون في القلوب من فسادٍ بسبب ضعف الإيمان كالغل والحقد والحسد والضغينة.. وغير ذلك من المعاني الذميمة التي قد تُبتَلى بها القلوب.

فإذا كان المسلم حريصاً على جماعة المسلمين وعلى لزومها مشفقاً عليهم ناصحاً لهم محباً الخير لهم فإنه –بإذن الله عز وجل– ينال من الثمار المباركة والعوائد الطيبة التي تنعكس عليه وعلى مجتمعه.

فلابدّ من هٰذا أيها الإخوة، فلابدّ من لزوم جماعة المسلمين، من الاجتماع على الحقِّ والهدى، ولابدّ من البُعدِ من التفرُّق والاختلاف، ولابدّ من اعتصامٍ صادقٍ بكتاب الله وسنة نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فهٰذا الذي يؤلِّف بين القلوب ويجمع بين أهل الحقِّ والهدى.

الضابط الرابع من الضوابط النافعة والمفيدة للسلامة من الفتن الرجوع إلى العلماء المحقِّقين، والفقهاء المدقِّقين، الطالعين في العلم، المشهود لهم بالإمامة والفضل والخيريَّة، فالمسلم لا يرجع إلى كلِّ أحد، ولا يسألُ أيَّ إنسانٍ، ولا تُعرَضُ النَّازِلَةُ على كلِّ متحدِّث؛ وإنما الرجوع في النوازل والفتن إلى العلماء، فقد قال – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– في الحديث الصحيح: ((**البركةُ مع أكابركم**))[1] والمراد بالأكابر في تعلُّماً وتعليماً وتفقيهاً للناس وظهر فيهم الحِلْم والأناة والرزانة والشفقة على الأمة، فأمثال هؤلاء يرجع إليهم الإنسان ولا يرجع لكلِّ أحد.

ولهٰذا عندما يرجع الناس في الفتن إلى كل أحدٍ فينشقُّ صفُّهم وتَختلُّ كلمتُهم وتتقارَبُ آرائُهم وتقع بينهم المشاكل العظيمة، لكن إذا رجعوا إلى العلماء الطالِعين الأئمة الراسخين، تحقَّق لهم الخير –بإذن الله جل وعلا–.

وانظر إرشادٌ إلى هٰذه في قول الله –تبارك وتعالى–: ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٣)**﴾[النساء:٨٣]، فالله –عز وجل– يقول: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ**﴾ أي أهل العلم الراسخين المحقِّقين، ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ لأنهم هم أهل الفقه وأهل الاستنباط وأهل الرزانة وأهل الأناة، فإليهم يرجع، وهم

(1) أنظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩٩)، وقال الألباني: رواه الطبراني في الأوسط والحاكم وقال على شرط مسلم.

الذين يُستَفتَون، وعلى فتواهم يُعوَّل، أمّا أن يسأل الإنسان كلَّ أحدٍ ويَستفتي كلَّ إنسانٍ فهٰذه مصيبة، وهٰذا سببُ تشقُّقِ الناس وتخلخل صفِّهم وانتشار الخلاف والفُرقة بينهم.

لكن إذا كان رجوعهم إلى العلماء الراسخين والأئمة المحصلين فإنهم -بإذن الله جل وعلا- سيكونون على خير ﴿لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ وهٰذا أيضاً فيه إلماحة إلى هٰذا الفعل الموجه إليه والمدلول عليه في هٰذه الآية الكريمة سبيل للوقاية من طريق الشيطان الذي يريد للناس الغواية ويريد للمجتمع المسلم أن يتفكك وأن تنحلّ عراه وأن يكثر الشقاق والخلاف بين أهله، ففي هٰذا الذي ذكر في هٰذه الآية قَطْعُ الطريق على عدو الله، فيرجع إلى أهل العلم والبركة معهم -كما قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- يسألهم ويستفتيهم ويرجع إليهم فتواهم، وهم الذين يعوّل على فتواهم في النوازل، إذا نزلتْ بالمسلمين نازلةٌ ينظرون إلى علمائهم الراسخين وفقهائهم المحقِّقِين وينظرون إلى بماذا يفتون، فيعملون.

ولاحِظ هٰذا التحذير في الآية قال: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ﴾ وهٰذا من الغلط، هو أيضاً تسرُّع وعجلةٌ واندفاع، ومن الممارسات الخاطئة التي يفعلها بعض الناس إذاعة الفتنة والشر وإدخال ما يرعِب الناس ويوهن إيمانهم ويُضعِف دينهم ولا يبالي بما يقول، كلُّ ما يقف عليه من قول أو يسمع به من حديث ينقلُه للآخرين على علّاته ولا يتبصَّر هل نَقلُه فيه فائدة أولا فائدة فيه، وهٰذه من المصائب العظام، ولا ينبغي للمسلم أن يكون كذلك.

علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لّما ذكر أهل الحقِّ والهدى وقد روى البخاري في الأدب المفرد قال: "لا تكونوا عجلا مذاييع بذرا"، المذاييع الذي لا همّ له إلا إذاعة الفتنة والشرّ بين الناس، الله يقول: ﴿أَذَاعُواْ بِهِ﴾، فالإنسان يكون متأني متبصِّر يسأل أهل العلم ويستشيرهم ويطلب منهم النصيحة وما خاب من استشار أهل العلم واستنصح بنصيحتهم وأخذ بفتواهم، وهٰذا الذي أرشد إليه الرَّب العظيم - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-.

إذاً لابدّ من مراعاة هٰذا الجانب؛ الرّجوع إلى أهل العلم الراسخين الأكابر في العلم وفي الفقه والفهم والعلم.

الضابط الخامس من الأمور المهمة والضوابط العظيمة لاجتناب الفتن الرفق والأناة وعدم العجلة والبعد عن التسرُّع، وفي الرِّفق خيرٌ وبركةٌ؛ بل إنّ الرفق خير كلُّه بل كما قال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ

وَالسَّلَامُ-: ((**ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلا شانه**))،[١] فمن صفات المؤمن الرفق والأناة وعدم التعجُّل.

بينما إن كان المرء مندفعاً في تصرفاته عاجلاً في أموره متسرعاً في رأيه وفي مسلكه وفي طريقه فإنّ عجلتَه وتسرُّعَه يَجرُّ عليه وعلى الآخرين من الشرور والأضرار ما لا يُعلم مداه ولا يُعلم نهايته ولا عقباه.

وقد جاء عن ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه - تأمَّلوا معي كلمته- قال: "إنه ستكون أمور مشتبهات أو أنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة"، ما معنى التؤدة؟ الرِّفق والأناة وعدم العجلة، "فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعاً في الخيرِ خيرٌ من أن تكون رأساً في الشرّ".

المتسرِّع قد يُدلي برأي بسبب تسرُّعِه إلى نفرٍ من الناس فيتبعونه على رأيه، ثم ماذا تكون النتيجة؟ يكون قدوةً وإماماً في الشرِّ؛ لأنه فتح على نفسه باب الشرِّ وفتحه أيضا على غيره.

وتأمّل في هٰذا الباب ما رواه ابن ماجه[٢] عن أنس بن مالك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: ((**إنّ من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشرّ، وإنّ من الناس ناساً مفاتيح للشرّ مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخيرِ على يديه وويل لمن جعل الله مفتاح الشر على يديه**))، فالمسلم يلازِم الرفق والأناة ويبتعد عن العجلة والتسرُّع، وقد مرّ معنا قبل قليل قول علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "ليسوا بالعُجل"، يعني أهل الحقِّ بعيدين عن العجلة، بل فيهم الأناة والرفق والهدوء والطمأنينة والتروي والبعد عن العجلة وملازمة الرفق دائماً وأبداً، هٰذا شأن أهل الحقِّ والهدى. فهٰذا ضابطٌ مهمٌّ للسلامة من الفتن

الضابط السادس للسلامة من الفتن حسن الصلة بالله ودعاؤه -جل وعلا- والإقبال الصادق عليه، والله —عز وجل- لا يردُّ عبداً دعاه، ولا يُخيِّبُ عبداً ناجاه، وهو القائل —سبحانه—: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)**﴾[البقرة:١٨٦]، وهو القائل - سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[غافر:٦٠].

([١]) **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم (٢٥٩٤).

([٢]) **سنة ابن ماجه**: المقدمة، باب من كان مفتاحا للخير، حديث رقم (٢٣٧)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٣٢) وقال أخرجه ابن مالجه وابن أبي عاصم في السنة، وله عندهما شاهد، وله شاهد آهر ، وبالجملة فيالحديث بمجموع طرقه سن إن شاء الله تَعَالىٰ.

فمن الأمور المهمة في هٰذا الباب دعاء الله –جل وعلا– بصدقٍ أن يجنِّب المسلمين الفتن، وقد مرّ معنا الحديث الصحيح أنّ النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: ((**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**))، فقال الصحابة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: "نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن"،[1] فيُقبل المسلم على الله–جل وعلا– يدعوه، يدعو لنفسه، ولإخوانه بالخير والسلامة والعافية والوقاية من الفتن والشرور، يكون داعياً لنفسه وإخوانه، هٰذا شأن المؤمن، قال الله –تعالى–: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)**﴾[الحشر:١٠]، قال الله –جلا وعلا–: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)**﴾[محمد:١٩]، فهٰذا لابدّ من الدعاء والسؤال بصدق، وربما ينكشف عن المسلمين من الهموم والغموم والمِحَنِ والفتن بدعوة صادقة في وقت إجابة من مؤمنٍ صادقٍ يدعو لنفسه ولإخوانه بالخير والرحمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "الدعاء مفتاح كلِّ خير في الدنيا والآخرة"، يعني أي خير تريده في الدنيا والآخرة فعليك بهٰذا المفتاح المبارك؛ الذي هو الدعاء، ولماذا كان الدعاء مفتاح كلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرة؟

يقول أحد السلف: "تأمّلتُ الأمر فوجدتُ بدايته من الله ونهايته إلى الله والمتصرِّف في هٰذا الكون هو الله والكلُّ بيده وتحت تصريفه – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– فعلمتُ أنه لا خير إلا منه"، لأنّ مفاتيح كلِّ خيرٍ بيده – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– فيُقبِل المسلم على الله —جل وعلا– إقبالاً صادقاً يدعوه ويرجوه ويؤمّل منه ويُلِحُّ عليه –جل وعلا– بكلِّ خير له ولإخوانه.

ومن الدعوات العظيمة المأثورة عن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((**اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خيرٍ، والموت راحةً لنا من كل شرٍّ**)).

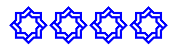
فهٰذه –معاشر الإخوة الكرام– ضوابطُ ستّة يكون –بإذن الله جل وعلا– للمسلم في ملازمتها والتقي دبها السلامة من الشرور والفتن، ويكون –بإذن الله عز وجل– له بتحقيقها نيل السعادة المشار إليها في قول النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((**إنّ السَّعيد لَمَن جنِّب الفِتَن**)).

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة (٣).

ونسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يُجنِّب المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ عليهم أمنهم وإيمانهم وسلامتهم وإسلامهم، وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل، وألاّ يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يجعلنا هداة مهتدين، من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



أسئلة المحاضرة

سؤال (٠١): نرجو توجيه كلمة للإخوة الكرام وخاصة شبكات الإنترنت بالابتعاد عن أعراض أهل العلم وطلاب العلم.

الجواب: هٰذه الشبكة العنكبوتية فيها شر وفيها خير، ومن الشرور التي في هٰذه الشبكة أن بعض مرضى النفوس وضعاف الإيمان بحكم أنه يستطيع من خلال هٰذه الشبكة أن يتكلم وهو في بيته بالكلمة أو يقول القول فيبلغ الآفاق وينتشر في الدنيا ويصل في لحظات إلى كل مكان ولا يدرى من هو.

فهٰذه جعلت بعض مرضى النفوس يتجرؤون على الخوض في الكلام في الآخرين والوقيعة والطعن ونشر الفتنة والشر والفساد.

فهؤلاء لا يعانون على ما هم عليه من شر بسماع كلامهم أو قراءة كتاباتهم أو ترويج أقاويلهم؛ لأن هٰذا من شأنه ضعضعة أقاويل المسلمين وتفكيك صفهم ونشر العداوة والبغضاء بينهم.

فأمثال هٰؤلاء المجاهيل الذي يجلسون خلف شاشات الانترنت ويكتبون وقيعة وطعنا وذما لا يستمعون إليهم ولا ينشر كلامهم؛ بل يبتعد ويحذر منه.

وهٰؤلاء لو أرادوا خيرا للأمة باب الخير واضح بتعليمهم كتاب الله وسنة نبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتعليمهم الخير ودعوتهم إليه، وتربية الناس على طاعة الله واتباع سنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سؤال (٠٢): سؤال عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ، ويشير فيه السائل إلى تجري بعض الناس إلى إلصاق التهم لــهٰذه الدعوة والمحاولة للقدح فيها.

الجواب: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يتكلم فيها طعنا إلا أحد شخصين: إما جاهل أو مغرض.

وكل منهما مصيبة، أما من عرف دعوة الشيخ - رحمه الله - وعرف نصحه لعباد الله، وعرف تبصيره لهم بكتابه وسنة نبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وعرف الجهود الضخمة الكبيرة التي بذلها في تبصير الناس في التوحيد والسنة والعلم النافع والحق والهدى، لا يتجرأ على الطعن فيه ولا على الطعن في دعوته.

ولهذا السلامة من هٰذا الداء بقراءة كتب هٰذا الإمام رحمه الله، مثل كتاب التوحيد وكتابه الأصول الثلاثة وغيره من كتبه المباركة النافعة التي نفع الله بها المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

فدعوته – رحمه الله – دعوة سنة على ضوء كتاب الله وسنة نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ما كان يدعو لشخصه، وإنما يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ومنهاجه في دعوته قال الله قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وكان في مراسلاته وفي كتاباته وفي دعوته للناس إنما يدعوهم للكتاب والسنة والاعتصام لما كان عليه سلف الأمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وأرضاهم.

فهٰذه دعوة الشيخ دعوة مباركة دعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، دعوة إلى الخير، فكيف يطعن في مثل هٰذه الدعوة.

ومن الأمور التي تُنقل في هٰذا الباب أن رجلا في إحدى الدول – وهٰذا الكلام من وقت – كان كل ما أراد أن يدرس طلابه بدأ درسه بالطعن في الشيخ وشتمه والوقيعة فيه، فلاحظه أحد من زار هٰذه المنطقة، فجاء بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ونزع غلاف الكتاب وأعطاه لـــهٰذا الرجل بدون الغلاف، وقال له: أنا طالب العلم صغير ما أفهم، أريد أن تقرأ هٰذا الكتاب، وتنظر لي هل يصلح للقراءة أو لا يصلح، إذا كان يصلح للقراءة أقرؤه وإن كان لا يصلح أنا ابتعد عنه، فأخذ الكتاب قرأه، فلما قرأ أعجب به وسر به سرورا عظيما؛ لأنه لم يجد إلا قال الله وقال رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ففرح به فرحا عظيما، قال له: أين وجدت هٰذا الكتاب، هٰذا كتاب عظيم جدا، فما أحبَّ أن يقول له أنه فعل كذا، فقال: فلنذهب إلى المكتبة نسألهم لعل عندهم الكتاب، فذهبوا هو وهٰذا الشيخ عند المكتبة وأطلعوا صاحب المكتبة عليه قالوا: عندك هٰذا الكتاب؟ قال: نعم هٰذا كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب. فتحول الرجل من ذلك اليوم إلى الدعاء للشيخ بدل أن يدعو عليه، فتحول إلى مدحه والثناء عليه بدل أن يذمه.

المصيبة أن بعض الناس يأتي ويتكلم فيه دعوة الشيخ وهو ما قرأ له، ولا عرف كتاباته، ولا وقف على أقواله، وإنما يذمه بالهوى، ويقع بمجرد الهوى، أما الذي يفتح كتاب التوحيد لا يجد إلا آيات وأحاديث أيذم الكتاب والسنة، وهكذا سائر كتبه – رحمه الله –.

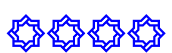
فالشاهد أن الذين يقعون في الشيخ أو في غيره من أئمة السنة وعلماء المسلمين هم أحد رجلين: إما رجل جاهل، أو رجل مغرض.

سؤال (٠٣): أنا شاب أصلي دائما أدعو الله والحمد لله، كلٌّ يتمنى أن الله يستجيب الدعاء؛ لكن كلما دعيت أحس أنه يكون غير الدعوة يعني بالدعاء،

الجواب: كأنه يقول: إني أدعو وأصلي.. ولكنني ما أجد الإجابة أو يقول: أجد عكس ما أطلب؟

أولا عليك أن تقرأ الآية وتتأملها جيدا قول الرب– جل وعلا –: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[غافر:٦٠]، وقال في الآية الأخرى: ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[البقرة:١٨٦]، الذي قال ذلك رب العالمين، ولهذا كان عمر بن الخطاب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – يقول: إني لا أحمل هم الإجابة؛ ولكني أحمل هم الدعاء. لأن الإجابة تكفل الله بها، فعليك أن تنظر هٰذا وتنظر في النقص الذي فيك، لأن الدعاء مستجاب كما دلت على ذلك النصوص – نصوص القرآن والسنة –؛ لكن إذا ارتفعت الإجابة فهـٰذا يرجع إلى السائل لا إلى المسؤول وهو رب العالمين، الله – جل وعلا – وعد بالإجابة، هٰذا يرجع إلى السائل، فهناك أمور تمنع من الإجابة، وهناك شروط وآداب للدعاء ينبغي للمسلم مراعاتها والتقيد بها حتى تستجاب دعوته؛ ولكن من دعا الله – جل وعلا – صادقا دعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم أعطاه الله – جل وعلا – ما سأل؛ إما بإعطائه ما سأل معجلا، أو أن يرفع له من السوء مثله، أو أن يدخره ثوابا يوم القيامة، فهـٰذه الثلاث حاصلة – بإذن الله – لكل من دعا الله – جل وعلا – بصدق وأقبل عليه بإلحاح، فإما أن يعطيه ما سأل معجلا، أو أن يرفع له من البلاء والسوء مثله، أو إن يدخره ثوابا يوم القيامة عندما يلقى الله – عز وجل –.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



الفهرس

